حيوانات وردت في آيات

(٢)

بَقَرَة بَني إسْرائِيلَ

أحمد سويلم

مكتبة العبيكان

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بقرة بني إسرائيل / لجنة التأليف والترجمة في مكتبة العبيكان .-الرياض.

٢٥ص؛ ١٧X٢٢ سم (سلسلة حيوانات وردت في آيات)

ردمك: ٤-٦١١-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة)

٠-٦١٣-٢٠-٩٩٦٠ (ج٢)

١- قصص القرآن أ- العنوان ب- السلسلة

ديوي ٢٢٩,٥ ٢٠/٢٩٣٣

ردمك: ٤-٦١١-٢٠-٩٩٦٠ (مجموعة) رقم الإيداع : ٢٠/٢٩٣٣

٠-٦١٣-٢٠-٩٩٦٠ (ج٢)

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[البقرة : ٦٧]

من حكْمَة الله تعالىَ أن خلَق الخيرَ والشَّرَّ.

ومن حكمَته أيضًا أنْ أوجدَ في الإنسان نوازعَ تجمَعُ بينَهُما.

لكنَّه ـ سبحانَه وتعالَى ـ خيَّرَ الإنسانَ بينَ الهُدَى والضَّلال، وأعطاهُ عقلَه لكَيْ يفرِّقَ بينَ هذَا وذاكَ، ثم يختارَ طريقَه التي سوفَ يحاسَبُ علَيهَا.

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ . [الإنسان: ٣]

وقدْ أرسلَ اللهُ رسُلَه إلى النَّاس ليبصِّرُوهم بهذه القيَم والحقَائق، فمَن شاءَ فليؤمنْ، ومَن شاءَ فليكفُرْ.

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾ . [النحل: ٣٦]

وما من نبيٍّ ولا رسُول بعثَه اللهُ إلى قَومه إلا لاقَى عنادًا وعَنَتًا وصَلَفًا وأذًى شديدًا، لكنَّهُم كَانُوا مثالاً رائعًا للصَّبر علَى أقوامهم حتَّى يردُّوهم عن جَهَالتهم.

أمَّا طرقُ الإقناع فقد اختلفَتْ من عَصر إلى عَصر، ومن نبيٍّ إلى نبيٍّ، ومن قَوم إلى قَوم، وقد كانَت المعجزاتُ التي يأتي بها النبيُّ قومَه إحدَى هذه

الوسَائل التي يلجأ إليهَا النبيُّ، وكانَت لا بدَّ أن تكونَ معجزةً متفوقةً علَى ما ألفَه الناسُ من أفعال السِّحر والشَّعْوَذَة؛ لأنَّها كانتْ بأمْر الله وقدرته وحكمته.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾. [الحديد: ٢٥]

وقد كانَ بنو إسرائيلَ أكثرَ الأقوَام الذينَ عانَدُوا وأجهَدوا أنبياءَهم، وأذاقُوهم العنتَ والأذَى؛ لأنَّ قلوبَهم لم تتقبَّل الإيمانَ صافيًا، بلْ كانُوا يميلونَ عَنه دائمًا كلَّمَا سنحَتْ لهم أيةُ فُرصة للمَيْل والإنْكار، بالرَّغْم من كَثْرة وعظَمة ما قدَّمَ لهمُ الأنبياءُ من الدَّلائل والآيَات المُعْجزة التي تسدُّ عليهم طرقَ العناد والشِّرك والارتدَاد والهَوى.

ونظرةٌ إلى تَاريخ بَني إسرائيلَ تؤكِّدُ هذَا التصوُّرَ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾. [المائدة: ٢٠]

لقدْ أفاضَ اللهُ عليهم في عَصر موسَى ـ عليه السلامُ ـ نعمًا وبركَات

كثيرةً لم ينَلْها قومٌ آخرونَ، فقد ناصرَهم موسَى على فرعونَ بالرَّغْم من صَلَفهم وعنَادهم.

ونجَّاهُم اللهُ من عَذاب فرعونَ حينَما عبرَ موسَى بهم البحرَ وشاهَدُوا بأنفُسهم قدرةَ الله في شقِّ البَحْر لهُم، وقدرةَ الله في إغراَق فرعَوْنَ. وكانتْ آيةً كُبرَى يلينُ لها الحجَرُ، ويتزلزلُ أمامَها كلُّ عاتٍ جبَّار عَنيد.

ثمَّ هاهُم يُصبحونَ ـ بعدَ العُبور والخُروج ـ أحراراً بعدَ أن كانُوا عبيداً أذلاءَ.

لم يؤثِّرْ كلُّ هَذا في إلانَة قُلوبهم، وفي تَسْليمهم بالحقِّ والصَّواب.

هاهُم بعدَ أن عَبَرُوا البحرَ يمرُّونَ علَى قَوم لا يزالونَ يعبدُونَ الأصنامَ، فتوقَّفُوا وكأنَّهم قد عاودَهُم الحنينُ إلى سابق عَهدهم، وكأنَّهُم لَمْ يسمَعُوا عَنْ فضَائل الإيمَان.

أقبَلُوا علَى موسَى يطلُبونَ منه أن يجعلَ لَهُم إلهًا صنمًا كَهذه الأصنَام!

يا لَلْحُمْق والغَباء!

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠]

وغضبَ موسَى واتَّهَمَهم بالجَهْل، وأخذَ يذكِّرُهم بفَضْل الله عليْهم؛ لعلَّهم يعودُونَ إلى صَوابهم وعُقُولهم، فتخاذَلوا، وسارُوا مَعه.

ثم أحسُّوا بالعَطش وهُم في قَلب الصَّحْراء الشَّديدة الجَفَاف، فطلبُوا من موسَى أن يضربَ بعصَاهُ الصَّخْرَ، ويفجِّرَ لهُم الماءَ، ففعلَ موسَى ذلك، فانفجرَ من الصَّخْر اثنتَا عَشْرةَ عَينًا، فشربُوا حتَّى ارْتَوَوْا.

وحينَمَا جاعُوا أنزلَ اللهُ عليهم المَنَّ، واستخلَصُوها من أوراق الشَّجَر.

وأنزلَ علَيْهم السَّلْوَى وهو نوعٌ من أنْواع الطُّيور، قيلَ هوَ طائرُ السّمّان.

وهاهُمْ لا يقتنعونَ بشَيء من نعَم اللَّه، كَما هُو شأنُهم. إنَّهُم يسألونَ موسَى أن ينوِّعَ لهُم الطَّعامَ؛ فهُمْ لا يَصْبرونَ على نَوع وَاحد من الطَّعام.

واقترحُوا على موسَى أنْ يكونَ الطَّعامُ من البُقُول، والقثَّاء والعَدَس

والبَصَل، وكلُّها أطعمةٌ أقلُّ مَذاقًا ولذَّةً مما أنعَمَ اللهُ علَيْهم من المَنِّ والسَّلْوَى.

أيُّ صَلَف هَذا؟! وأيُّ غُرُور وعنَاد؟! وأيُّ صَبْر وتَذْليل يلاقُونه من موسَى عليه السلام؟! وتتوالَى المطالبُ بلا نهَاية.

هاهُم يُطالبونَ موسَى بمنهَاج يسيرونَ عليه، وشَرْعٍ يتبعونَه في حَياتِهم. وينطلقُ موسَى إلى ربِّه يسألُه شرعًا ومنهاجًا.

ويأمرُه اللهُ تعالَى أن يتطهَّرَ ويصومَ أربعين* يومًا، ثُمَّ يَأتي إلى طُورِ سَيْناءَ.. وهناكَ يسألُه ربُّه عزَّ وجَلَّ: كيفَ تركَتهم يعبُدونَ العِجْلَ ويَرتدُّون؟!

ويتألَّمُ موسَى لهذا الخَبر الذي تلقَّاه من السَّماء، ويعودُ إلى قَوْمه غَضْبانَ أَسفًا، ويُعاتبُ أخَاه هارونَ عتابًا قاسيًا على عَدَم قُدرته عَلى رَدْع بَني

* قال ابن كثير في تفسير الآية ١٤٢ من سورة الأعراف: «فذكر الله تعالى أنه واعد موسى ثلاثين ليلة، قال المفسرون: فصامها موسى ـ عليه السلام ـ وطواها، فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة فأمره الله تعالى أن يكمِّل العشرة أربعين».

إسرائيلَ عن عبَادة العـجْل الذي صَنعَه لهُمُ السَّامريُّ. ويؤكِّـدُ هارونُ لموسَى ـ عليهما السلامُ ـ أنَّه لم يُقصِّرْ في إرشَادهم، ولكنَّهم لَم يستجيبُوا.

لم يَكُن هارونُ يستطيعُ أن يُقنعَهم؛ فليسَ لَـدَيْه ما لدَى موسَى من القُوَّة والغلبَة. ويلتفتُ موسَى للسَّامريِّ يسألُه عن قصَّته وعجْله هذَا.

إنَّهَـا جريمةٌ في حقِّ الله. لهـذَا حكمَ عليـه موسَى أن يعـيشَ وَحيـدًا في الدُّنيَا؛ جزاءَ مَا أحدثَ من فتْنة. فعاشَ السامريُّ منبوذًا حتَّى ماتَ.

ثم أمسَكَ موسَى بالعجْل أمامَ الجَميع، وألقاهُ في النَّار وصَهَرَه، ثم نسَفَه في البَحر نَسْفًا، فتحولَّ الإلهُ المُزَيَّفُ إلى ذَرَّات مُتَطايرة.

وبعدَ ذلكَ التفتَ موسَى إلى بَني إسرائيلَ صائحًا: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨].

أمَّا العقـوبةُ التي حكَمَ بهَا اللهُ علَى قَوْمِ موسَى فهيَ أن يَقـتُلُوا أنفُسَهم؛ لأنَّهُم لا يستحقُّونَ الحياةَ.

ويهدأُ غـضبُ موسَى عـليه السَّـلامُ، ويجمَعُ ألواحَـه- وكانَ قَدْ ألـقاهَا

عندمَا غضبَ ـ مرَّةً أخْرَى ليواصلَ رسالـتَه، ويقرأُ الألواحَ على قَومه، فيرَى فيهم شيئًا من العنَاد والتَّبجُّح، فيأمرُهم أن يتَّبعُوا مَا في الألْوَاحِ بلا جدَال ولا عنَادٍ ولا تكبُّرٍ.

ثُم طلبَ موسَى من قَومه ـ لكَي يَنالُوا رحمـةَ اللَّه ـ أنْ يتوبُوا ويستغفرُوا عن جَريمتـهم بعبَادة العـجْل. واختارَ منهُم سـبعينَ رجُلاً يَصـحبُونَه لميـقَات حَدَّدَه اللهُ تعالَى له. لكنَّ اللهَ صَعَـقَهم فوقَ الجبَل حينَما طلبُوا بلا اسـتحْيَاء من موسَى أنْ يَرَوُا اللهَ جَهْرةً، غيرَ مُكتَفينَ بالاستمَاعِ إلَيْه.

هكَذا كـانَ حالُ بَني إسـرائيلَ معَ موسىَ، العنَادَ، والكبـريَاءَ، والصَلَفَ، والضَّلالَ، والجَهَالةَ، لا يخضـعُونَ. ولا يؤمنُونَ إلا إذَا لُوِيَتْ أعنَاقُهم بمعجزَة حسِّيَّة قويَّة غَالبَة، تُلقي في قُلوبهم الرعبَ والخوفَ.

ويتـوعَّدُهم اللـهُ إذا لم يَظَلُّوا على إيمَانهم بالعَـذَاب. ومـوسَى لا يَفقـدُ الأملَ في رَحْـمَـةِ اللَّه. وهاهُوَ يسـجُـدُ للَّه ويَدعُـوه أن يعـفُـوَ ويُكفِّـرَ عَنْهُم ذُنُوبَهم.

ويأمُره اللهُ بدُخُول الأرْض المقدَّسَة. ويقودُ موسَى قومَه حتَّى يَبلُغُوا قُربَ مَدينة أَريحَا، وهناكَ بعثَ موسَى بعضَ نُقَبَاء بَني إسرائيلَ يتحسَّسُون الأخبارَ في أريحَا، فعادُوا خائفينَ فَزعينَ يقولُونَ: ﴿.. إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ..﴾ [المائدة: ٢٢] وهم أقْوَى منَّا.

قالَ موسَى: لكنَّ اللهَ معَنَا يا قومُ بقوتَّه وجَبَرُوته.

قالُوا: ﴿... لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

صلَفٌ وعنادٌ ما بَعْدَهُما شَيءٌ!

كَيفَ لهؤلاء القَوْم أنْ يقُولُوا لموسَى: أنتَ وربُّكَ، وكأنَّ اللهَ هوَ ربُّ موسَى وحدَه وليسَ ربَّهُم؟!

ويكتمُها موسَى مؤقتًا، ويُصرُّ بَنو إسرائيلَ علَى عَدَم التَّقدُّم خُطْوَةً معَ موسَى.

وهنَا نفَدَ صبرُ موسَى، وغضبَ، ودعَا ربَّه أنْ ينتقمَ منهُم جزاءَ عِصيَانهم. ويستجيبُ اللهُ دعاءَ موسَى.

كانَ عقـابُ الله لبَني إسرائيلَ أنْ كتبَ عليهمُ التِّيـهَ في الصَّحْراء أربعينَ سنةً، يَسيـرونَ كلَّ يَوم جَادِّين، حتَّى إذا مَلُّوا السَّـيرَ إذَا هُم في المَوضع الذي رحَلُوا منه.. وهكذا.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ . [المائدة: ٢٥، ٢٦]

وكانَتْ حكمَـةُ الله في ذلكَ أن يَهلكَ هذَا الجيلُ المعاندُ الشـقيُّ العَصيُّ، ويحلَّ مَحلَّه جيلٌ آخرُ، وذُريةٌ أخرَى تُؤمنُ باللَّه، وتُؤمنُ بالتَّوْراة.

كانَ في القَـوْم أحَدُ المعـمّرينَ المؤمنينَ، أحسَّ بدنُوِّ أجَلـه، وكانَ لا يملكُ من عَرَض الدُّنيَا سوَى بَقرة ترعَى في الأرْض الخَضْراء وولَد صَغيرٍ.

أخذَ الرجلُ الصالحُ يدعُو اللهَ قبلَ أن يتركَ الدنيَا، ويقولُ:

- اللهمَّ يا مالكَ المُلْك، هذه بَقَـرتي لم تُخلَقْ للسَّقي أو الحَرْث، أَتركُـها لولَدي الوَحيد، وهيَ كلُّ ما أملكُ من الدُّنيَا، فبارِكْ لَه فيهَا يَا رَبّ.

ويُسْلمُ الرَّجُلُ رُوحَه إلى بَارئها، ويتلفَّتُ الصَّغيرُ حولَه، فيرَى نفسَه يتيمًا وحيدًا، لَم يترُكْ أبوه له إلا العملَ الصَّالحَ وهَذه البقرةَ.

ثمَّ حدثَ أنْ كانَ في بني إسرائيلَ أيضًا شيخٌ علَى جَانب كَبير من النِّعْمة والثَّراء، قد رزَقَه اللهُ ابنًا وَحيدًا كذلكَ. ويموتُ الرَّجُلُ تاركًا ثَروةً كبيرةً لهذَا الولَد الوَحيد.

لكنَّ أبناءَ عُمُومَة هَذا الولَد حَقدُوا علَيه وطَمعُوا في ثَروَة أَبيه التي تركَها له وحدَه، وهُم ليسَ لَهُم حقٌّ فيهَا، وليسَ لَديهم مالٌ مثلُه، ولا نعمةٌ مثلُ نعمَته.

ويجلسُ الأقرباءُ يتشاورونَ:

- قالَ أحدُهم: نقتلُ الصغيرَ، ونقتسمُ المالَ.

قالَ آخرُ: لو فعَلْنَا ذلكَ حُوكمْنَا، وعرَفَ الناسُ مَن وراءَ ذلكَ، وربَّما حُرِمْنَا جميعًا هذَا المالَ.

قالَ ثالثٌ: نجمعُ بينَ القَتْل، والمطالَبة بالثَّأرِ.

قالُوا: كيفَ ذلك؟!

قالَ: تعرفونَ أنَّ بينَ أُسرتنَا وبينَ بَعْضِ الأسَر هُنا ثَاراتٌ وعَداواتٌ.

قالُوا: نعَم.

قالَ: لهذا أرَى أنْ نقتلَ الغُلامَ، ونُلصقَ التُّهمةَ بإحدَى الأسَر، ونطالبَها بدَمه.

ووافقَ الجميعُ علَى هَذه المؤامرَة.

ويرسلونَ إلى الغُلام لَيلاً مَن يُنفذُ القتلَ، ثُم هاهُم في الصَّبَاح يتظاهرونَ أنَّ عَداوةً بينَ أسرتَهم وأسرَة أخرَى تجعلُهم يلصقونَ بهَا التهمةَ ويطالبونَ بدَم ابن أَخيهم.

ويتناقلُ الناسُ الحديثَ في الأسوَاق، وتثورُ فتنةٌ شديدةٌ بينَهم، ويشيرُ أحدُ العُقَلاء علَى الأقربَاء أن يحتَكموا إلى موسَى عَليه السلامُ.

ويعقدُ موسَى مجلسَه، ويأتي الطَرَفان، يقسمُ هَؤلاء بأخْذ الثَّأر من القَاتل، وأولئكَ يقسمُونَ أنَّهُم لَم يرتكبُوا هَذه الجريمةَ؛ فاللهُ قدْ نَهَى عَن القَتْل، وكلٌّ منهُما مُصرٌّ علَى ما يقولُ.

لَمْ يكُنْ أمامَ موسَى إلا أن يسألَ ربَّه ماذا يفعلُ؟

كانَ الجوابُ أنَّ اللَه يَأمرُهم أنْ يذبَحُوا بَقرةً، ويَضربُوا بذَيلها هذَا الميتَ المقتولَ، فيبوحَ بمَن قتلَه.

بَدَا الأمرُ عَبَثيّاً في نَظَر بَني إسرائيلَ، بل أدركَ الأقرباءُ الطامعونَ أنَّه لا بدَّ من السُّخْريَة من هذَا الرَّأي؛ خوفًا من إمكَان كَشْف جَريمَتهم.

ماذَا فعلَ المجرمُونَ؟

جاؤوا موسَى، وأخذُوا يجادلونَ ويتنطَّعُونَ، بلْ أشَاعُوا أنَّ موسَى يستهينُ بهم، ويَسخرُ من عُقُولهم.

قالُوا: لقد لَجَأنَا إليكَ حينمَا أعيَتْنَا الحيلةُ والتفكيرُ؛ لتوضِّحَ لنَا ما خَفي، ولتدُلَّنا علَى القَاتل الحَقيقيِّ، فتقولُ: اذبَحُوا بقرةً؟! مَا عَلاقةُ هذَا الأمر بذَبح البَقَر؟! أتراكَ تتهكَّمُ علَى عُقولنا؟!

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾. [البقرة: ٦٧]

ونَسيَ بَنو إسرائيلَ أنَّ منطقَ العَقْل هُو أبعدُ الأمُور التي يُطالبونَ بهَا، وإلا كَانُوا سَلَّمُوا بالعَقْل والمَنْطق طوالَ عنادهم وكُفرهم.

إنَّ تاريخَهم يؤكِّدُ أنَّ المعجزَات غيرَ المألوفَة هي قانونُهم السائدُ في حَياتهم، وأنَّ ذَبحَ البقَرة أحدُ هذه القَوانين غيرِ المألوفَة، فلماذَا هذه المرةَ يطالبُ بنو إسرائيلَ بالعَقْل والمَنْطق؟!

إنْ دَلَّ هذَا علَى شَيء فإنَّمَا يدلُّ علَى استمرَار طَبائعهم، وعلَى مُرَاوَغَتهم وسُوء تَفكيرهم، وفَسَاد طَوِيَّتهم، وظَلامِ قُلُوبِهم.

أجابَهُم موسَى: هذَا أمرُ اللهِ، وللَّه في أمْرِه حكمةٌ لا نُدرِكُها. اذبَحُوا بقرةً، وأطيعُوا أمرَ اللَّه.

ويذهبُ عَنه بَنو إسرائيلَ يفكِّرونَ، ثُم يَأتونَه مَرةً أخرَى ويَسألُونَه:

يَا موسَى نَحنُ مستعدُّونَ أنْ نذبحَ بقرةً نُزولاً علَى أمْر اللَّه، لَكنَّا نَسألُكَ عَن البَقَرة، أهيَ بقرةٌ من هَذَا البَقَر الَّذي يَرعَى، أمْ فيها شَيءٌ مختلفٌ؟ اسأَلْ ربَّكَ عَنها يا موسَى وأخبرْنَا.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾. [البقرة: ٦٨]

ويُسرعُ موسَى إلى ربِّه ويَسألُه عَن مُواصَفات هَذه البَقرة، ويُجيبُهم:

يَا قـومُ، إنَّها بقـرةٌ ليستْ صَـغيـرةً ولا كَبـيرةً في السِّنِّ، هيَ بقـرةٌ وسَطٌ عاديةٌ.

ويذهبُ القومُ عَنه، وهُم أشدُّ تعجبًا وحَيرةً! لكنَّ هَذه الإجابةَ لَم تَزدْهُم أيضًا إلا مراوغةً في أمْر لا يحتاجُ إلى مُرَاوَغَة!

لقَـد كبـرَ علَى أنفُـسهم أنْ يُقْـدمَ أحدُهـم علَى ذَبْح واحدَة من أبقَـاره، فلماذَا لا يراوغُونَ؟! ولماذَا لا يتساءَلونَ ويتَساءلونَ؟!

جاؤوا موسَى مرةً أخرىَ يسألُونَه عَن لَوْنها، فقالُوا: اسأَلْ ربَّك يا موسَى عَن لَونها.

عَجيبٌ أمرُ هَؤلاء القَومِ!

فالبقرُ لَونُه متقاربٌ، ومـن الغَرابَة وقلَّة الحَيَاء أن يشغلُوا نبيَّ اللَّه موسَى بهذا الأمْر الذي يسألُ فيه ربَّه! ويصبحُ قضيةَ النَّاس، تشغلُهم زمنًا طويلاً!

لكنَّ موسَى صـابرٌ، يسألُ ربَّه سبحانه، واللهُ يُملي لَهُـم، ويُجيبُـهم: إنَّهَا بقرةٌ لونُها أصفرُ فاقعٌ، إذا نُظرَ إليهَا استمتعَت العَينُ بمرآها.

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا

تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ . [البقرة: ٦٩]

وضحَ الأمرُ إذنْ، وعَليهم الآنَ أنْ يختَارُوا بقـرةً عاديةً لونُها أصفرُ فاقعٌ، فتَنتَهي المشكلةُ، ويَكُفُّوا عن المُراوغَة التي لا طَائلَ منها.

لَم يقتَنعُوا بالإجابَة! وجَلسُوا معًا، فانقسَمُوا إلى فَريقَين:

- فَريق أرادَ أن يُنهيَ الأمـرَ، فأرادَ أنْ يجمعَ بَعضَ البـقَر الأصفَـر الفَاقع اللَّون، ثم يُجْرُونَ عليه تَجاربَ الاختيَار، ويَذبَحونَ التي يقعُ عليهَا الاختيارَ.

- وفَريق آخرَ لا يزالُ مُستمتـعًا بالمُراوغَة والغُرور، ومن صَالحه أنْ يطولَ الأمرُ، وينـشغلَ النَّاسُ بهَـذه القضيَّـة حتَّى تَصلَ إلى طَـريق مَسْدُود فـتُنسَى وينسَاهَا النَّاسُ.

وهذَا الفريقُ الأخيرُ يَضمُّ هَؤلاء الأقرباءَ الأشقياءَ الذينَ ارتَكبُوا الجَريمةَ، ومِن صَالحِهم أنْ تغيبَ الحقيقةُ، وألا يَعرفَها أحدٌ.

وكانَت الأغلبيةُ مَعَ الفَريق الأخيـر. ولهذَا ذَهبُوا إلَى مُوسَى في الصَّباح، وقالُوا: يا مـوسَى، إنَّ البقَرَ تشَابَه علينَا، ولدَينَا أبقـارٌ كثيرةٌ ينطبقُ علَـيهَا هذَا الوَصفُ، ونَحنُ نريدُ أوصَافًا أكثرَ تَحديدًا.

قالَ موسَى: وماذَا تُريدونَ بَعْدُ مِن أوصَافِها؟

قالُوا: مَزيدًا من الدِّقَّة والتَّحْديد.

قالَ موسَى: هَذه آخرُ مَرَّة تَسألونَ. ويَذهبُ مُوسَى يَسألُ ربَّه عَن مَزيد من الأوْصَاف، ويُخبرُهُم موسَى أنَّهَا بقرةٌ لا تَسْقي ولا تحرُثُ، وأنَّها بقرةٌ لا عَيْبَ فيهَا، خَالصةُ الصُّفرة.

ثمَّ صاحَ موسَى في وُجُوههم : اذهبُوا عنِّي الآنَ، وابحَثُوا عَنْهَا واذْبَحُوها.

لم يَعُدْ للحَيرة مكانٌ في ظَنِّهم؛ فقدْ حدَّدَ اللهُ لَهم كلَّ شَيء، ولا بدَّ أنَّهُم سوفَ يَبحثونَ عَنها، وسيجدُونَها؛ فاللهُ عَليمٌ خبيرٌ.

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾. [البقرة: ٧٠، ٧١]

ويتكاسَلُ القَومُ في البَحْث عَن البقَرة؛ فهُم يتمَنَّوْنَ ألا يَكونَ لهَا وجودٌ؛

فربَّما حَدثَت المعجزةُ؛ ونطقَ القاتلُ!

قالَ واحدٌ منهُم: دعُونَا من هذَا الأمْر، ولا تتمَسَّكوا به؛ فأنَا أعرفُ أنَّ موسَى لا يُخطئُ في مُعجزاته.

قالَ آخرُ ساخرًا: أتظنُّ أنَّ ذيلَ البقَرة حينَمَا يَضربُ ميتًا يمكنُ أنَّ يبعثَ هذَا الميتَ من رَقْدَته؟! كيفَ هذا؟!

قالَ ثالثٌ: إذَنْ مَا دُمْتُم غيرَ مصدِّقينَ فلماذَا تخافُونَ من ذَيل بَقَرةٍ؟!

وأجمَعُوا رأيَهم علَى البَحْث عَنهَا بأيِّ ثَمَنٍ.

ويَسوقُهُم اللَّهُ بحكْمَته إلى البَقَرة.

كانَتْ تلكَ البقرةُ التي يرعَاهَا اليتيمُ الفقيرُ، والتي وَرثَهَا عَن أَبيه الصَّالح.

ذهبُوا إلى الفتَى يُفاوضُونَه في ثَمَنهَا. قالَ: أنَا لا أُريدُ بَيْعَها؛ لأنَّها تُذكِّرُني بأبِي الصَّالح.

قَالُوا لَه: ومَا قيمةُ الذِّكرَى وهيَ لا تَنفعُك في شَيْء؟! أَصرَّ الفتَى علَى

رَأيه، فأخَذُوا يُغرونَه بالثَّمَن ويضاعفُونَه، ويساومُونَه وهُوَ علَى رَفْضه ثابتٌ.

ثمَّ أرادَ اللهُ للفتَى أنْ يَلينَ لحكمَة، هيَ دَعوةُ أبيه الصَّالح لَه بالثَّراء والنِّعمة. ظَلُّوا يَزيدونَ لَه حتَّى أعطَوْه وزنَها ذَهبًا. ورَضِيَ الفَتى بالثَّمنَ وباعَها.

وجاؤوا بهَا إلى موسَى، فأمرَهُم بذَبْحها. ثُم جيءَ بالقَتيل أمامَهم، وأمسَكَ موسَى بذَيل البَقَرة، وضَربَه به، فنهضَ من رَقْدَته! فسألَه موسَى: مَنْ قَتَلَك؟

أجابَ القتيلُ باسْم قَاتله، ثُمَّ عَادَ إلى رَقْدَته مرَّةً أخرَى.

كانَ أحدَ أعمَامه الذينَ يَقفونَ أمامَ موسَى.

وبَرِئَت الأُسرةُ التي اتَّهَمُوها، وانكشَفَتْ مُؤامرَتُهم الدَّنيئةُ.

أمَّا الفتَى صاحبُ البَقَرة فقَدْ وسَّعَ اللهُ لَه في رزْقه، فشكَرَ نعمتَه، وزادَه من فَضْله.

وكانَتْ معجزةٌ أخرَى، تُضافُ إلى هَذه المعُجزات التي حدثَتْ تحتَ

أعيُن وأسـمَاعِ بَني إسرائيلَ، الذيـنَ اجتهدُوا فـي إيذَاء نَبيِّهم مُـوسَى ـ عليه السلامُ ـ ومضايَقَته، وعِنَادِه ومُرَاوَغَته.

وتُصبحُ بقـرةُ بَني إسرائيلَ علامـةً واضحةً بيِّنةً عَلى مـا تُكنُّه قُلوبُهم من العصيانِ والجَهالة إلى أنْ يشَاءَ اللهُ.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. [البقرة: ٧٢ - ٧٣]

لكنهم لم يعـقلوا أو لا يريدونَ أن يعـقلوا، فـهم قـتلةُ الأنبـياءِ وأعـداءُ المؤمنين، وهم إخوانُ القردةِ والخنازير، وإن شئتَ فاقـرأ فضائحهُم في سورةِ البقـرة والمائدة والأعراف وغـيرها من سـور القرآن الكريم التي تحـدثت عن مخازيهم وعيوبهم وجرائمهم، ولا يزالون إلى يومنا هذا على طبعهِمُ القديمِ ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾. [البقرة: ١٢٠]

فما هو موقفنا منهم؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾. [آل عمران: ١٠٠]

Printing & Packaging
Tel: (01) 288 1144